مجلة المرابط

العدد : ٢٢٩ الموافق في ربيع الآخر ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/٧ ميلادي

عنوان المقال : وخير الخطائين التوابون	الكاتب : م. صوفية العلمي

حمداً لك يا من ذللت بالموت رقاب الجبابرة ، ويا من أنهيت بالموت آمال القياصرة ، فنقلتهم بعظمة الموت من القصور إلى القبور ، ومن التنعُم في الطعام والشراب إلى التمرغ في الوحل والتراب .. سبحانك .

فالعارف بك يقول : سبحان من دلّني عليه وجعل إليه مرجعي ومعادي ، والمذنب يقول : سبحان من اطّلع عليَّ في المعصية ورآني ، فلما رآني سترني وغطّاني ، ولما تبت إليه تاب عليَّ وهداني .. سبحانك .

كل شيء هالك إلا وجهك ، كل باكٍ فسيُبكى ، وكل نَاعٍ فسيُنعى ، وكل مذكور سيُنسى ، ليس غير لله أبقى ، من عَلا فالله أعلى

غداً تُوقى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

يقول الإمام علي ﷺ : « التقوى هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل »

أترانا نستعد ليوم الرحيل ؟ هل نجاهد أنفسنا فنمنعها عن الحرام ؟ أم أننا قد أطلقنا لها العنان ؟ وإننا لنجد الواحد منّا يستعد استعداداً كاملاً لرحلة قد تدوم شهراً أو شهرين ، أو حتى سنة أو سنتين ، ويُوفِرّ كل ما يحتاجه حتى يكون سعيداً في رحلته ، فكيف برحلة دائمة أبدية ؟ ألا تستحق استعداداً لها بالطاعة والبعد عن الغفلة ؟

فلنصغ إلى آيات الله تعالى في سورة الكهف : { **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** } [٢٨] إن الله تعالى يدعونا إلى مصاحبة الأخيار الصالحين والبعد عن أهل السوء الغافلين ، وإن " من أحب أهل الخير نال من بركتهم " كما يقول الجوهري ...

ولنستمع إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو يقول : « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه** » ولعل الخطوة الأولى أن يكون المرء صادقاً مع نفسه ، يقف معها وقفة محاسبة ، فيعترف بأخطائه ، فـ « **كل بني آدم خطّاء ، وخير الخطّائين التوابون** » ولن تعْسُر التوبة على من اعترف بالخطأ : «

عنوان المقال : وخير الخطائين التوابون	الكاتب : م. صوفية العلمي

إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار » ثم لنبادر بالعمل الصالح كما قال تعالى : { **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً ءَاخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ۞ إِلا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيماً** } [الفرقان : ٦٨ - ٧٠] .

فأخلص نيتك لله ، وتوكل عليه فهو نعم الوكيل ، وبادر بالتوبة فإنك لا تدري إذا جنَّ عليك الليل هل تعيش إلى الفجر ؟! فكم من صحيح مات من غير علة ، وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر .

وأختم قولي بأبيات شعرية أسأل الله أن تنفعنا وإياكم :

ولا تجـزع لحادثـة الليـالي ... فمـا لحـوادث الـدنيا بقـاءُ
وكـن رجـلاً علـى الأهـوال جلـداً ... وشـيمتك السـماحة والوفـاءُ
يُغطـى بالسـماحة كـل عيـب ... وكـم عيـب يغطيـه الحيـاءُ
إذا كنـت ذا قلـب قنـوع ... فأنـت ومالـك الـدنيا سـواءُ
ومـن نزلـت بسـاحته المنايـا ... فـلا أرض تقيـه ولا سـماءُ
وأرض الله واسـعـة ولكـن ... إذا نزل القضا ضاق الفضـاءُ